مجموعة قصصية

[بارع في تبديل لمبات الضوء المعطلة]

هاني السالمي

من إصدارات دار خطوات للنشر والتوزيع سوريا

[غبي]

ولد برأس زجاجي من أثر برقة ضربت خصر أمه ليلة الولادة، كان جميلاً وبراقاً، الجميع أحبه، كان منهم يحضر قطعة قماش ويمسح الغبار عنه، ومنهم فتن به فاعتبره المخلص من البارود والحديد الذي يحكم المدينة، ومنه قال: هذا الإله فصار يبتسم بوجه حين يمر كأنه يطلب البركة لأولاده ولزوجته الجديدة، الأطفال كان يرسموه بدون رأس في دفاتر الكشكول، والنساء تعشقه فلأجله تحمر حبتاي الرمال المعلقتين على صدورهن، لا ضوء ولا بهجة إلا بحضوره، لكن هذا الغبي الذي أراد أن يتأكد بأن رأسه من زجاج، كان يحمل مطرقة ويدور حلف في الشوارع، وجرب غبائه في لحظة غفلة، فتكسر وصار بلورات منتشرة تحت أقدام المارة، وفقدت لمعتها.

الرجاء إخفاء سيرة النبيذ

عناقيد العنب تنفذ بسرعة من الأسواق رغم سعرها الغالي، لا يقدر المستهلك أن يشتري أكثر من إثنين كيلو من العنب طوال الموسم، هذا السؤال الذي حير مزارعي العنب لكثرة الطلب عليه، فكان عليّ أن أفك هذا اللغز، فكان لي بابا واحد وهو مراقبة سوق العنب وبعض دكانين الفواكه لأراقب من يشتريه بهذه الكميات كبيرة، لبست وقتها طاقية ونظارة سوداء كنت أبدو كمحقق يبحث عن المجرم، أتحرك بخفة حول دكانين الفواكه، وسوق العنب.

فكانت الإجابة صادمة علي، أنهم الكُتاب والمثقفين ورواد المكتبات العامة ومنهم من يقول شعرا في المناسبات الوطنية ويظهروا كثير على شاشات التلفاز وأنا أعرفهم جيدا، يشترون العنب بكميات كبيرة تزيد على عشرين كيلو، ويكونوا متخفين بملامس غريبة ومعهم سيارة لتقلهم بسرعة مع عناقيد العنب، وكان من أحد الزبائن صديقي شاعر كبير ومشهور في الوسط الثقافي، وأخفي اسمه تحسبا لأي طارئ، لكن الجميع يعرفه لأنه من رواد قصيدة النثر وقارئ نهم ويمشي كثيرا لأنه مصاب بمرض السكري المزمن.

فكان عليّ زيارة بعد عدة أسابيع لسؤاله عن كمية العنب الذي اشتراه من السوق.

حملت بعض الكتب ومجلة عشتار العدد 18 وقصص عن الشاعر ذو الدم الثقيل الذي يكتب شعرا موزنا على كل البحور

رحب بي، وشعر بأن حديثي حواري في هذا اليوم باهت، فكشف أمري.

وبسرعة قلت له: عندي سؤال، فقال: ما تريد، قلت أريد أن أسألك لماذا اشتريت كميات من العنب من السوق وماذا سنفعل بها.

ضحك بصوت عالي، أريد أن أصنع نبيذا، فأنا لا أكتب ولا أقرأ إلا بصحبة النبيذ

(رجف قلبي وقتها من هذا السر، وتخيلت بأن شيخ المدينة علم بالأمر وتخيل نفسي أجلد من هذا الكلام..)

طبعا في بلادنا ممنوع النبيذ بتاتا، وقد تقتل لو شعر أحد أنك تذكر الكلمة مرتين، فالكثير يلجأ لصناعته من العنب في البيت دون علم زوجته أو أولاده ولا حتى جدران غرفتك، رغم أننا لا نملك خبرة في صناعته، يبدو أن الأمر نفسي.

في لحظة تركني صديقي الشاعر برجفتي من فكرة النبيذ وصورة الشيخ الذي سيجلدني من هذا اللقاء، وعاد وهو يحمل كأسين بهما سائل وقال لي: اشرب!!

وبكل ثقة شربت، كان طعمه حامض ويشبه مشروب منقوع أوراق الكركيده الأحمر التي تصنعه أمي في الشتاء لعلاج نزلات البرد وتنظيم ضغط الدم.

وبعد أن شرب صديقي مما صنع ثلاث كؤوس، قال لي: نحن نصنع النبيذ كما نعرف، لكن ص هل هذا نبيذ حقيقي أم مجرد عصير عنب قاني..

حارس البرتقال

لم يكن حارسُ البيارة الذي كان يركض خلفنا حين كُنا نسرقُ حباتِ البرتقال، إنه الظلّ، بعد مراقبة طويلة جدا، تأكدنا من ذلك، هذا الظّلّ، لم يكن له أقدام، ولا يدين، كان مجنوناً بطعم البرتقال، ولسوء حظ الظّلّ لم يقدر أن يقطف حبةً واحدةً عن الشجر، فكان ينتظر أي أحد يسرق، فيركض خلف حتى تقع الحبات، فيلتهمها.

لا أعلم لماذا احببته، كل مرة أسرق فيها البرتقال، كنت أتعمد أن ألقِ حبةً أو اثنتان لهذا الظّل...

فانوس

مللت جدا، وحاولت أن تتفاعل لكن دون جدوى، قال لها: لك ثلاث خيارات، لتكسري الملل، قالت: أريد أن أكون شتاءً، فصارت، انطلقت بشتائها، تمطر، تصنع برك مياه صغيرة لأطفال، توزع الغيوم والبرد على الناس، زاد مللها من فكرة الظهور لمرة واحدة في السنة، اعتذرت للشتاء، قالت: أريد أن أكون بحراً، فصارت، انطلقت تلعب بالسفن، تلاحق الأسماك، تلون خدودها بالمرجان، لكن في يوم غرق طفل داخلها، فخافت من فكرة الموت فاعتذرت للبحر، أخيرا اختارت أن تكون فانوساً، لتضيء الظلام، فصارت، انطلق تبحث عن الظلام واللون الأسود، جاء رجل واخذها وعلقها في بيته، صار يستخدمها وقت الظلام، كانت سعيدة في أول الأمر، وحين اكتشفت إنه آخر خيار لها، حاولت أن تعود، لكنها فشلت، فماتت، فجاء الرجل بفانوس جديد، ووضعه بدلها، وألقاها في الشارع، عاطلة عن التجديد.

الضياع

لقد ضعنا يا ولدي وضاع الوطن..

رغم

أننا نكتب اسماؤنا ورقم كرت لاجيء على جلودنا. وأيضا نكتبها على جرار الغاز.

وفي دفتر الدين في دكان الحارة في لحظة الضياع من نحن

رغم

أننا نرتدي نظارات طبية فاخرة لكن ضعنا كما ضاع النورس عن الميناء

رغم

إننا نملك الذاكرة في حفظ خرائط الشوارع ضعنا ولم نقدر على العودة..

رغم

إننا تعلمنا كيف نكثف بخار الماء... لكن غزة تبخرت من بين أصابعنا.

ضعنا يا ولدي والآن الدب الغبي ينام أمام البيت ويأكل عسلنا وأرواحنا.

ضاع الوطن.. كما تضيع منك العشرة شواكل الفئة المعدنية وأنت محتاج لها.

ضاع الوطن يا ولدي

شكلي...

أنا في الجنازات أكون بالخلف لأدل الأحياء ألى طريق المقبرة.

أنا في الحقول أكون عند وردة الياسمين لأدل العشاق كيف يصير الورد عطرا.

أنا في كروم العنب أكون في شهر يناير لأدل السكارى إلى رقصة العذارى قبل أن يصير العنب خمرا.

أنا في القصف أكون في منتصف البيت لأوزع البارود والشظايا بالعدل على جداره.

أنا في موسم الخسارة أنا أكبر الخاسرين أخسر الأصدقاء والأماكن والذكريات

فمن يسبح معي ضد التيار.

لا تتمنى وأنت في عين المجاعة.

يا ليتني حقول من سنابل قمح أصفر... ويحصدني النازحين بالمنجل ويحملوني إلى المطحنة وأصير دقيقا أبيضا ومن ثم رغيفا أحمر يشبه وجه القمر ويفرح بي النازحين

يا ليتي عيدلن قصب طويلة تصل إلى السماء فعصرني النازحين فأصير عصير قصب... وتضعني الجدة تحت الشمس فأصير سكرا فضيا. كل صباح ومساء يصنعوا الشاي بالسكر ويضحكون.

يا ليتي عجل حنيذ ومني يصنع النازحين حفل شواء ويدقون الطبول في وجه رجال الظل وأسياد الخوف...

يا ليتي قفص دجاج أبيض إفرنجي سمين.. ومني يصنع النازحين مقلوبة ورز أصفر وصنية فتة بالدجاج...

يا ليتي حقول فاكهة

يا ليتي مزرعة خضار

حبل التمني طويل جدا.....

آخر برجوازي في الحرب

يجلس على آخر كرسي إسفنجي لم تحرقه الدبابة.. في أخر شارع في مدينة خان يونس دخلته الجنود. خلفي آخر بيت قصف من الطائرات لأنه كان عشا لطائر الدوري. أجلس فارغ الجيوب وفارغ الصبر وفارغ من النيكوتين.

أنا آخر برجوازي في هذه الحرب... لأنني شربت أخر فنجان شاي بالسكر وأكلت قطعة لحم حمراء وأنا آخر شخص سلم علي جارنا الطيب الذي مات ودفن في عشرة دقائق بدون كفن.

أنا إخر برجوازي في هذه الحرب... لأنني شربت ماء حلوا ووضعت عطرا خفيفا قبل أن أجلس على الكرسي لأجذب الأفكار وصديقي اليساري...

أنا آخر برجوازي في هذه الحرب

الحرب تكذب أيضا...

قالت لي الحرب: إنها سترحل غدا... جاء غدا كثيرا ولم ترحل... بل كلما مررت من الشارع إختبئت مني حتى لا أراها وأوبخها.... مرة إستقظت باكرا وأصرت في نفسي أن أطردها من مدينتي.. بحث عنها كثيرا وعندما وجدتها صارت مخيفة ولها أنياب وبقايا الدم على فمها ونبحت علي وركضت خلفي.. فهربت منها ورحلت أنا... وهي مازلت في مدينتنا....

إفلاس كاتب ليس من النقود ولكن من الكلمات

لي عام كامل وانا بيدي قلم وورقة بيضاء وعندي حيرة ماذا أكتب لأكون كاتبا حقا في هذه الحرب... وكلما تشكلت الجمل على طرف لسان كأشجار تحمل ثمارا... وعيي كان ساطورا قطع الأشجار... لا كلمات تصف هذا الديناصور الذي دخل مديتنا وكسر أعمدة الإنارة وشرب الماء كله وحطم البيوت وداس السيارات وأرعب البعيد بصوته وكلما جاع بلع دون مضغ أولاد وبنات حارتنا... لنا عام ونحن نركض منه... كم هو ضخم كبير ونحن صغار أمامه... كل التعوذيات التي أطلقتها العجائز لا تؤثر به.. حاولنا أن نغرز الحديد في ذيله لكنه لا يحس جلده مصنوع من فولاذ.... كل الذي فعلناه جلسنا بمكان يبعد مترا عن نهاية ظله...

أشبه صديقي المسيحي...

في وقت القصف أنا وصديقي المسيحي ندعوا بدعاء العجائز اللهم سلم اللهم سلم...

وفي وقت الجوع نشبع عندما نذكر ما كانت الجدات يطبخن ونحن صغار.

وفي وقت العطش نفتح أفواهنا للمطر ويقايا الندى...

وقت الفرح نرقص كما كان يرقص الأجداد على اليرغول والمجوز.

وقت الحب نحب الأحياء وما تبقى من بيوتنا.. .

عندما نركب على كارة الحمار في السوق صديقي المسيحي يدفع الأجرة وأنا أفسر له سبب تدرج الزرقة في بحر غزة.

مرة تخاصمنا بسبب كم غبمة ماطرة تحتاج غزة لتملك نهرا... وقت الخصام هو أعطاني مفتاح الكنيسة وأنا أعطيته سر الحروف المقطعة الكونية.

وقت الموت أنا وصديقي المسيحي ندفن موتانا في قلوبنا مع حفنة تراب...

يرحل من أحب يوم الجمعة وهو بودع من يحب يوم الأحد

صديقي المسيحي جاء شهيدا يوم الأربعاء بتاريخ 26.9.2024 بشاحنة الجثث ودفن في قبر جماعي في خان يونس مع ثمانين مجهول.

لماذا هربت عصافير الدوري من غزة...

1. لانه لا يوجد فتات وطعام في الحرب.
2. لأن وزارة الصحة في غزة لا تحصى عدد العصافير التي تموت كل يوم من صوت القدائف.
3. العصافير تحب أن ترقص في الصباح فوق سطح البيوت... أما في الحرب لا يوجد رقص ولا يوجد بيت.
4. عصافير الدوري تساعد الملائكة بحمل الأوراح بمناقيرها إلى أول غيمة... عصافيرنا تعبت من حمل الأرواح فماتت فتركت الملائكة وحدها تحمل الأرواح

تخيلوا أن هذا النص وجد في ثلاجة الموتى بالقرب من شاب كان يصطاد عصافير الدوري والخضر والكركز ويبيعها عند بوابات المدارس.